مجلـــــة الآداب للعلوم الإنســـانيـــة
المجلد السابع العدد الثاني، ديسمبر 2024،
ص ص121- 148
Arts & Humanities Journal
Vol. 7, Issue no. 2, December, 2024,
pp.121-148

Issn (النسخة الالكترونية): 3006 -757X Issn (النسخة المطبوعة): 3006 -7561

التعجب

(دراسة تطبيقية على الحديث النبوي في كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح مسلم)

الدكتور محمد يوسف محمد يوسف

أستاذ مساعد، جامعة القصيم، كلية اللغات والعلوم الإنسانية، قسم تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

00966507427870 Ablbara8@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 26/ 9/ 2024 تاريخ قبوله للنشر: 8/ 10/ 2024

التعجب

(دراسة تطبيقية على الحديث النبوي في كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح مسلم)

د. محمد يوسف محمد يوسف

جامعة القصيم، كلية اللغات والعلوم الإنسانية، قسم تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة التعجب، في الأحاديث النبوية الواردة في كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح الإمام مسلم. وقد اتبع الباحث في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، وكوّن بحثه من مقدمة ومبحثين: مبحثين للتعريف بالإطار النظري للبحث، وآخر عن أسلوب التعجب في عينة البحث، وخاتمة لأبرز نتائج البحث، وثبت لمراجعه ومصادره. ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث: أن عينة البحث قد خلت من استخدام صيغتي التعجب القياسي، وأن أسلوب التعجب المستخدم في الأحاديث هو أسلوب التعجب السماعي، وأن صيغ التعجب السماعي ليست مذكورة في باب التعجب، بل مبثوثة في أبواب النحو المختلفة.

الكلمات المفتاحية: التعجب، السماعي، القياسي، الحديث النبوي.

Exclamation
(An applied study of Exclamation in the Prophetic Hadith. A Case study of the Book of Tribulations and Signs of the in Hour Sahih Al-Imam Muslim)

Dr. Mohammed Yousif Mohammed Yousif
Qassim University
Faculty of Languages,and Humanities
Department of Teaching Arabic to non-native Speakers

Abstract

The research aims to study exclamation in the Prophetic Hadiths specifically, in the Book of Tribulations and Signs of the Hour in Sahih Al-Imam Muslim. The researcher adopts descriptive analytical approach, organizing the study into an introduction and two main sections: one for defining the theoretical framework of the research, and another on the style of exclamation in the sample of the research. The study concludes with a summary of the key findings and a bibliography of references and sources consulted. Among the most prominent findings of the research are that the sample did not include the use of standard forms of exclamation, that the style of exclamation utilized in the Hadiths is an auditory exclamation style, and that the auditory exclamation forms are not mentioned in the section on exclamations but are scattered throughout various chapters on grammar.

Keywords Exclamation, Standard Exclamation, Auditory Exclamation, Prophetic Hadiths.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أهمية الموضوع:

وبعد، فيُعدُّ أسلوب التعجب أحد الأساليب اللغوية شائعة الاستخدام في نصوص اللغة، فهو طريقة في الكلام يعبر بها عن الانبهار أو الاندهاش لأمر تنفعل له النفس، وقد ركز النحويون فيه على الصيغ القياسية، فأولوها اهتماما كبيرا من حيث الإعراب، والشروط، وأشاروا للصيغ السماعية إشارات عجلى بأمثلة قليلة، مع أن الصيغ السماعية أكثر استعمالاً في التعجب من الصيغ القياسية؛ لذا فقد كان من أهداف هذه الدراسة تجميع ما تناثر في أبواب النحو المختلفة من مسائل التعجب السماعي، وتطبيقه على أحاديث كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح مسلم.

منهج الدراسة:

منهج الدراسة هو المنهج الوصفي والتحليلي، الذي يركز على دراسة الظاهرة اللغوية دراسة وصفية ثم تحليل الشواهد بهدف الكشف عن استعمال صيغ وأساليب معينة في الأحاديث عينة الدراسة، للتعبير عن التعجب، والمنهج الإحصائي في عدِّ أبواب الكتاب وأحاديثه إضافة إلى عينة الدراسة.

هدف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أسلوب التعجب، من خلال صيغه وأساليبه المتنوعة، والتطبيق على أحاديث كتاب الفتن وأشراط الساعة في صحيح مسلم.

أسئلة الدراسة:

1- ما أسلوب التعجب، وماصيغه القياسية والسماعية.

2- ما الصيغ التي يكثر استخدامها في التعجب، من خلال الدراسة التطبيقية.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة والبحوث العلمية عن التعجب كثيرة ومتنوعة، بعضها عن دراسة التعجب كأسلوب أو كظاهرة، كـ(دراسة ظاهرة التعجب في القرآن الكريم مع الإشارة إلى ترجماتها إلى الإنجليزية، م. محمد طاهر صطام العبد ربه، مجلة كلية العربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد:12, 2012م.)، وكـ(أسلوب التعجب في القرآن الكريم. د. عبد الله فتحي محمد حمزة، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، (العدد:4، المجلد:1)، 2022م)، و(أسلوب التعجب في القرآن الكريم، جمال رباح المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، العدد: 3، المجلد:2)

وبعضها تناول الدراسة من زاوية الخلاف النحوي، كـ (التعجب بين البصريين والكوفيين، د. محي الدين توفيق إبراهيم، مجلة آداب الرافدين، العدد:5)، ودراسة: (التعجب من فعل المفعول بين المانعين والمجيزين د. سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العددان: 79-80، 1408هـ). كما تناولت بعض الدراسات التعجب تناولاً جزئياً كدراسة: (صيغ التعجب السماعية، عزيز سليم، وماجد محسن، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد: 13، 2010م)

على أن هذه الدراسات والبحوث جميعها تتفق مع هذه الدراسة في مضمونها (التعجب)، وتختلف عنها في عرضها، وتناولها، وهدفها. إضافة إلى أن هذه الدراسة قد تناولت التعجب في الأحاديث الواردة في كتاب الفتن وأشراط الساعة في صحيح الإمام مسلم.

خطة الدراسة:

اقتضت طبيعة المادة العلمية في هذه الدراسة تصميمها من مقدمة ومبحثين: مبحث عن التعجب: تعريفه، وأنواعه، وصيغه، ومبحث عن التعجب في عينة البحث، وخاتمة فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم ثبت لمراجع البحث ومصادره.

المبحث الأول: التعجب: تعريفه، وأنواعه، وصيغه.

التعجب لغة: جاء في لسان العرب أن العَجَبَ: "إنكار ما يرد عليك لقله اعتياده"[1]. والتعجب: مما خفي سببه ولم يعلم [2].

اصطلاحاً: عرفه ابن عصفور بأنه "استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها، وخرج بها المتعجب منه عن نظائره [3]. وعرفه بدر الدين بن مالك وهو ابن ناظم الألفية، بأنه "استعظام فعل فاعل ظاهر المزية فيه"[4]. وأورد ابن حمدون على تعريف ابن عصفور، أنه غير جامع لأنه لا يشمل ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ سورة البقرة [28] ولا نحو قوله (ﷺ): "سُبْحَانَ اللهِ، المُؤْمِنُ لَا يَنْجُسُ"[5] مما التعجب فيه من أصل الوصف لا الزيادة فقط لأن التعجب في الأول من أصل الكفر، وفي الثاني من ظنِّ أبي هريرة أن المؤمن ينجس، ولا يشمل نحو: ما أخصره، من اختصَرَ المبني للمفعول؛ لأن التعجب فيه من وصف المفعول لا من وصف الفاعل، وهو وإن كان شاذاً فلابد من شمول التعريف له، وبأن فيه دوراً لأخذ المتعجب منه في حد التعجب، فيتوقف التعجب على المتعجب منه، والمتعجب اسم مفعول مشتق من التعجب، ومعرفة المشتق منه الذي هو التعجب سابقة على معرفة المشتق وهو المتعجب منه فجاء الدور، لأن هذا التعريف إنما هو للتعجب لغة لا اصطلاحاً، والتعجب اصطلاحاً هو اللفظ المتعجب به، وكلام النحاة إنما هو في الألفاظ لا في المعنى"[6]

ولعل تعريف الرضي للتعجب أقرب إلى حقيقته وأوضح، يقول: "التعجب انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، ولهذا قيل إذا ظهر السبب بطل التعجب"[7].

أقسام التعجب: يعبر عن التعجّب في العربية بصيغ وعبارات غير منحصرة؛ لذا قسمه النحاة إلى قسمين:

القسم الأول: التعجب المبوّب له عند النحاة، ويسمى بالتعجب القياسي، وسيأتي الحديث عنه.

القسم الثاني: التعجب غير المبوب له عند النحاة، ويسمى بالتعجب السماعي، وسيأتي الحديث عنه في أثناء البحث.

أولاً: التعجب المبوَّب له: (القياسي): وهو الأساس عند النحاة في التعجب، وتباينت آراؤهم فيه، فمنهم من قال: إن صيغه ثلاث، ومنهم من عدها اثنتين، فابن السراج يرى أن التعجب على ضربين: أفعل به، وما أفعله"[8] وقال الجوهري: "صور التعجب ثلاث: ما أحسن زيدا، وأسمع به، وكَبُرت كلمة"[9] وقال ابن عصفور: "للتعدد ثلاثة ألفاظ: ما أفعله، وأفعل به، وفَعُل"[10] في حين ذكر الرضي "أن فعل التعجب في اصطلاح النحاة، هو ما يكون على صيغة: ما أفعله، أو أفعل به، دالاً على هذا المعنى"[11] وجمهور النحاة يخصون باب التعجب بالصيغتين ما أفعله، وأفعل به[12] وأمّا فَعُلَ، فإنّ كلَّ فعل ثلاثي استوفى شروط التعجب يجوز تحويله إلى فَعُل.

على أن النحاة يعنون بصيغتين هما صيغتا: (ما أفعله، وأفعل به) لاطرادهما، فأما صيغة (ما أفعله) فتتركب من ثلاث كلمات: هي (ما)، والفعل، والمتعجَّبُ منه. فـ (ما) في هذه الصيغة يرى جمهور النحاة، أنها نكرة تامة، بمعنى شيء، وهي في محل رفع مبتدأ، وما بعدها خبر.[13] وفعلُ التعجب فعلٌ ماضٍ جامدٌ يلزم صيغة واحدة، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره هو، واشترط النحاة –لما يبنى منه فعل التعجب– شروطا ثمانية، هي[14]:

1. أن يكون فعلاً، فلا يبنيان من "الجلف" و"الحِمار"، ولا يتعجب من "اللص"، فإن جاء ما يخالف فهو شاذ، نحو: ما أذرع المرأَة، أي ماَ أخف يدها في الغزل، ومثل: ما أقمنه، وما أجدره.[15]
2. مجرداً، فلا يبنيان من غيره، كدحرج، وضارب واستخرج، واختلفوا في صياغته من (أفعَل)، وعلى هذا فقولهم: ما (أتقاه) شاذ لأنه من (اتَّقى).
3. أن يكون متصرفاً تمام التصرف، فلا يبنيان من غيره، مثل: (نعم)، و(بئس)، و(كاد)، و(يدع)، و (يذرُ)، و(هبْ).
4. أن يكون معناه قابلا للتفاضل أي: الزيادة والنقصان، فلا يبنيان من مثل: (فني)، و(مات).

5. أن يكون مبنياً للمعلوم، فلا يبنيان من نحو: (ضُرِبَ).
6. أن يكون الفعل تاماً، فلا يبنيان من نحو: (كان)، و(ظل)، و(بات)، و(كاد)؛ لأن الناقص لا يدل على الحدث، والتفضيل إنما يقع فيه.
7. أن يكون مثبتاً، فلا يبنيان من منفي، سواء كان ملازما للنفي، نحو :ما نبس بكلمة، وما عاج بالدواء، أم غير ملازم، نحو: ما قام.
8. أن يكون الوصف منه مقيساً على (أفعل فعلاء)، فلا يبنيان من (فَعِلِ) المكسور العين، الدال على الألوان، والعيوب الظاهرة، والحِلىَ، مثل :عَرِجَ، وشَهِلَ، وخَضِر الزرْع.

"ويقرر أهل العربية أن الفعل إذا فقد تمام التصرف والتفاوت، فلا يتعجب منه البتة، ويتوصل إلى التعجب مما سواهما بـ (أَشَدّ) أو بـ (أَشْدُدْ) ونحوهما، ويؤتى بعدهما بالمصدر منصوباً أو مجروراً، إلا أن المصدر قد يكون صريحاً مما زاد على ثلاثة ومما وصفه المنقاس على (أَفْعَلَ فَعْلاَء) ويكون مؤولا عن المنفي والمبني للمفعول، وأما الناقص فمن قال: له مصدر، فيأتي به صريحاً، ومن قال: لا مصدر له، أتى به مؤوَلاً.

وأما ما لا فعل له، فقيل: لا يتعجب منه، وقيل: يتعجب منه، ويؤتى بعد (ما أشدَ) أو (أشدد) بمصدره الصناعي، نحو ما أشدَّ حماريته"[16].

والمتعجَّبُ منه: هو اسم منصوب يعربه النحاة مفعولا به دائما، ويجب تأخيره ولا يجوز له التقديم،[17] ولابد من أن يكون مختصا، فلا يجوز: ما أحسن رجلا؛ لعدم الفائدة وإذا تخصَّصَ بوصف جاز، نحو: ما أحسن رجلا حاله كذا[18]؛ لأن المتعجب منه مخبرٌ عنه في المعنى، فلا يكون إلا معرفة، أو نكرة مختصة فيقال: ما أسعد رجلا اتقى الله.[19]

أما صيغة (أفعل به) فيرى النحاة أن (أفعِل) فِعلٌ صورته أمر ومعناه الماضي، من (أَفعَلَ) أي: صار ذا فِعْلٍ، كأَلْحَمَ أي: صار ذا لحم، فالأصل في (أكرِم بزيدٍ) أكرَمَ زيدٌ، ثم نُقل إلى صيغة الأمر.[20] ومن النحاة من ذهب إلى أنه فعل أمر حقيقة، أي: لكل واحد أن يجعل زيداً حسناً في قولنا: أحسِن بزيدٍ، فكأنه قال: صِفه بالحسن كيف شِئت.[21] أما ابن الناظم فقال: لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر[22] أما المتعجب منه، فقد جعله النحاة هنا فاعلا، قال ابن يعيش: "إن المجرور في (أحسن بزيد) هو الفاعل؛ لأنه لا فعل إلا بالفاعل ... ولزمت الباء هنا، لتؤذن بمعنى التعجب بمخالفة سائر الأخبار"[23]

فالقصد منها الدلالة على التعجب، ولو كان المراد الأمر، لصار هذا الفعل كحال الأفعال الأخرى، وقد تكون دلالتها للإلصاق، فقولنا أحسن بزيد، معناه: ألصِق الحسنَ بزيدٍ مراداً منه التعجب"[24] وتدخل هذه الباء أيضا على صيغة (فَعُلَ) المنقولة إلى التعجب، فهي تدخل على الفاعل نحو: (حَسُن بزيد)، ودخولها دليل على أن المقصود بالفعل التعجب، فإن حُذفت احتمل الكلام التعجب وغيره[25]

ثانياً: التعجب غير المبوّب له (السماعي): وإنما لم يبوب له؛ لأن عباراته وصيغه لا تدل على التعجب وضعاً، ولكن بقرينة[26] فلا يلتزم فيه بقاعدة نحوية محددة، أو صيغة معينة، وإنما يعرف من مدلول الكلام؛ لذلك نجد عباراته في كتب النحو مفرقة على أبواب متعددة. قال أبو حيان: "وقد جاء التعجب متضمنا جملاً لم تكن له في أصل الوضع"[27] ويعرف بالتعجب السماعي، وله صيغ، وأدوات. وتناوُلُ البحثِ لهذه الصيغ السماعية، كان على سبيل الاستدلال لا الحصر؛ لأنها كثيرة ومتنوعة، فمنها الأسماء، ومنها الحروف، ومنها الأصوات. أما من حيث الترتيب لهذه الصيغ، فقد رأى الباحث أن يضعها ضمن الأسلوب الذي تنتمي إليه، ومن ثم يذكر الأدوات والصيغ التي تنتمي إلى هذه الأساليب مرتبة.

ويجب التنبيه إلى أن الباحث لم يتعرض لهذه الصيغ بالتفصيل؛ لأن كثيرا من المصادر والمراجع قد استوفت الكلام على كل صيغة. وسيتعرض البحث لصيغ وأدوات التعجب السماعي بشيء من التفصيل في المبحث الثاني: التعجب في عينة البحث، وقد جاءت أساليب التعجب السماعي على النحو الآتي:

1/ التعجب بأسلوب الاستغاثة.
2/ التعجب بأسلوب الاستفهام.
3/ التعجب بأسلوب القسم.
4/ التعجب بأسلوب النداء.
5/ التعجب بأسماء الأفعال.
6/ التعجب بالأصوات.
7/ التعجب بالمصادر.
8/ التعجب بصيغ أخرى.

المبحث الثاني: أسلوب التعجب في عينة البحث

تقدم معنا في المبحث الأول التعريف بنوعي التعجب القياسي، والسماعي، فأما التعجب القياسي بصيغتيه، فلم يرد له شاهد في عينة البحث (كتاب الفتن، وأشراط الساعة، من صحيح الإمام مسلم)، فكل شواهد الدراسة جاءت من القسم الثاني من أقسام التعجب (التعجب السماعي)، وقد أجمل الباحث الحديث عن صيغ التعجب السماعي في آخر المبحث الأول، وهذا أوان ذكرها ببعض التفصيل:

أولاً: التعجب بأسلوب الاستغاثة:

الاستغاثة: نداء من يخلص من شدة، أو يعين على مشقة. قال ابن الناظم: "إذا نودي منادى ليخلص من شدة أو يعين على مشقة، فنداؤه استغاثة، وهو مستغاث"[28].

وقد يتعجب بأسلوب الاستغاثة، فيقال: يا للعجب! بمعنى: يا للناس للعجب.

و"ما صحّ أن يكون منادي، صحّ أن يكون مستغاثًا به، ومتعجبًا منه، وأجمعوا على جواز أن يكون (بأل) نحو: يا لله، ويا للرجال، ويا للماء، ولام المستغاث به والمتعجب به مفتوحة"[29]. "وينادي المتعجب منه فيعامل معاملة المستغاث من غير فرق. فمن ذلك قول بعضهم: يا للعجب ويا للماء، بفتح اللام على معنى، يا عجب احضر فهذا أوانك"[30].

ولم يرد التعجب بأسلوب الاستغاثة في عينة البحث.

ثانياً: التعجب بأسلوب الاستفهام:

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته المعروفة[31]. وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي، فيستفهم بها عن الشيء مع العلم به، لأغراض أخرى منها التعجب، ويفهم ذلك من سياق الكلام ودلالته[32].

والاستفهام في عينة البحث، أكثر المعاني التي خرجت عن حقيقتها لتفيد معنى التعجب، وأكثر أدوات الاستفهام التي أفادت التعجب في عينه البحث الهمزة؛ لأنها أصل أدوات الاستفهام وأعمها. ومن الاستفهام الذي جاء بمعنى التعجُّب مقروناً بالإنكار أو

الاستنكار، قوله (ﷺ) لأسامة بن زيد، وقد جاءَه يَطلب الشفاعة في تطبيق الحدِّ على المخزوميَّة التي سرقَت: "أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله؟"[33]. فالعجب أن يأتيَ أسامة هذا الأمر –وهو أدْرَى الناس برسول الله– لملازمته له، والمطلوب الشفاعة فيه حدٌّ من حدود الله، والمعلوم يقينًا عند أسامة أنَّه –(ﷺ)– لا يتهاون في تطبيق شرع الله، وأنَّ الناس جميعًا عنده سواسية.

وللاستفهام حروف كثيرة، ومما جاء من حروفه دالاً على التعجب ما يأتي:

1/ الهمزة: وهي أم أدوات الاستفهام، كما أن (إنْ) أم أدوات الشرط،[34] "وذهب بعض النحاة إلى أن الهمزة قد تستعمل في غير معنى الاستفهام، فتختص بورودها لمعاني: التسوية، والتقرير، والإنكار، والتوبيخ، والتهكم، والأمر، والتعجب، والاستبطاء، وأن سائر الأدوات لا ترد لشيء من ذلك"[35] ومما ورد من خروج الهمزة عن معناها الحقيقي إلى معنى التعجب قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ سورة ص [5] قال ابن كثير "أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك –قبحهم الله تعالى– وتعجبوا من ترك الشرك بالله" [36]

ومن الشواهد التي ورد الاستفهام فيها بالهمزة مقصوداً به التعجب، في كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح مسلم، حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: "خَرَجْنَا حُجَّاجًا، أَوْ عُمَّارًا، وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ، قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي، فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ، فَقَالَ: اشْرَبْ، أَبَا سَعِيدٍ فَقُلْتُ إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ، مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ –أَوْ قَالَ آخُذَ عَنْ يَدِهِ– فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلًا فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يَقُولُ لِي النَّاسُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "هُوَ كَافِرٌ" وَأَنَا مُسْلِمٌ، أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "هُوَ عَقِيمٌ لَا

يُولَدُ لَهُ"، وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟ أَوَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ" وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا، وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبًّا لَكَ، سَائِرَ الْيَوْمِ"[37]

فابن صائد يتعجب من ارتياب أبي سعيد الخدري في كونه المسيح الدجال، مع ملازمته لرسول الله (ﷺ)، وعلمه بحديثه " أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ؟!..."، وهو قد بيَّن –في حديثه– أوصاف الدجال، ثم يستفهمه أخرى بالهمزة، قاصدا باستفهامه التعجب فيقول: "أليس قد قال... "هو كافر" وأنا مسلم؟!، أوليس قد قال: "هو عقيم؟!" وقد تركت ولدي بالمدينة، أوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة؟! وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة.

"وخلاصة الاستفهام المفيد للإنكار أنَّه يفيد: "موقفًا هو للمتكلم من سامعه، يتمثَّل في أنه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام، وهذا الموقف على درجات أقصاها الإنكار أو التقريع، وأدناها العتاب، وما بينهما درجات تُلَوَّن وَفْق السياق"[38].

2/ أنَّى: وهو اسم استفهام يخرج للظرفية المكانية خرج من معناه الحقيقي إلى معنى التعجب مجازا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ﴾ سورة آل عمران [40] أي: كيف يكون! وجاء في التفسير الكبير أنَّ للمفسرين فيه قولين، الأول: أن الملائكة لما نادوه بذلك وبشروه به تعجب زكريا عليه السلام ورجع في إزالة ذلك التعجب إلى الله تعالى.

وهي أقوى في الاستفهام وبناؤها اللغوي يوحي بذلك فالتشديد الذي فيها والمدة الطويلة في آخرها يرجحان ذلك وقد لوحظ في كثير من الألفاظ العربية أن بناءها اللغوي مشاكل لمعناها فأنى في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ﴾ سورة البقرة [259] فيها من الاستفهام التعجبي ما ليس في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ﴾ سورة

البقرة [260] فالأداة (أنى) تختلف عن (كيف) من ناحيتين هما: السعة في المعنى، والقوه في الاستفهام والتعجب منه[39].ولم ترد لها في عينة البحث شواهد.

3/ أين: من شواهد أين: حديث أُمُّ شَرِيكٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ (ﷺ)، يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "هُمْ قَلِيلٌ"[40] فسؤال أم شريك رضي الله عنها فيه التعجب، فكيف يفر العرب، وفيهم المجاهدون، الذين يذبون عن الدين بالمهج والأرواح، ويمنعون عن أهله صولة الأعداء؟! فأخبرها أنهم يهربون من الدجال؛ لقلتهم، وعدم قدرتهم على قتاله[41].ولم ترد لها في عينة البحث شواهد.

4/ أي: إحدى أسماء الاستفهام مثل: (من، وما، وأين، ومتى، وكيف) إلا أنها تختلف عنها في أنها معربة، وبقية أخواتها مبنية، ويكون معناها بحسب ما تضاف إليه، وهي واجبة الإضافة لفظاً ومعنى، وتأتي للسؤال عن بعض الشيء قال سيبويه: "أي: مسألة، ليبين لك بعض الشيء وهي تجري مجرى (ما) في كل شيء[42]" وتكون أي معربة مضافة تعرب بحسب موقعها من الجملة ولا تضاف إلا إلى نكرة وتقع وصفاً لنكرة وحالاً من معرفة[43] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢﴾ سورة المرسلات [12] قال ابن الجوزي في معنى ذلك: "وضرب الأجل لجمعهم يُعجِّب العباد من ذهول ذلك اليوم" زاد المسير 557/8

ورد الاستفهام بأي في عينة البحث، مراداً به التعجب، في حديث عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقَسَّمُ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الشَّامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، يَعْنِي الرُّومَ... فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتَتِلُونَ مَقْتَلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنْبَاتِهِمْ فَلَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيِّتًا، فَيَتَعَادَّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَسَّمُ؟"[44] ففي قوله فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقسم، استفهام بمعنى التعجب، لأن هذه الحرب تفني الناس، فلا يبقى للغنيمة والميراث فائدة ولا معنى، تأمل قوله: "فَيَتَعَادَّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا

الرَّجُلُ الْوَاحِدُ" "يعني تعد جماعة حضروا تلك الحرب كلهم أقارب فلم يبق من مائة إلا واحد قد خلفهم أي قعد مكانهم في أولادهم"[45]

5/ كيف: اسم استفهام يدل على الحال مبني على الفتح يخرج عن معناه الحقيقي إلى أغراض أخرى.

قال ابن فارس: "قال بعض أهل اللغة: لها ثلاثة أوجُه: أحدها: سؤال محض عن حال، تقول: كَيْفَ زيدٌ؟ والوجه الآخر: حالٌ لا سؤال معه، كقولك: لأكْرِمَنّك كيف كنتَ أي: على أيّ حال كنت. والوجه الثالث: كيف بمعنى التعجيب، ... ومن التعجيب قوله جلّ ثناؤه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ سورة البقرة [28][46]

جاء في معاني الزجاج في تفسير قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله.." أن (كيف) استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب إنما هو للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا في هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجه الله عليهم"[47]

ومن الشواهد على ورود كيف بمعنى التعجب في عينة البحث حديث أم سلمة في الجيش الذي يخسف به فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ» فأم سلمة رضي الله عنها تعجبت من أن الطريق قد تجمع معهم من ليس منهم، وقد يكره آخرون على الخروج، فكيف يهلك هؤلاء! فأجابها النبي (ﷺ) بأنه يهلك معهم، ويحاسب يوم القيامة على نيته. "وفي هذا الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك"[48]

6/ ما: اسم استفهام مبني على السكون، قد يخرج من معناه الحقيقي إلى معان أخرى كثيرة، منها: أنها استفهاميه تفيد التعجب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ سورة الحاقة [1، 2] وقوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ سورة القارعة [1، 2] وقوله: ﴿وَمَآ

أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الإنفطار [17][49] قال الفراء في تفسير آية الحاقة: "والحاقة مرفوعة بما تعجبت منه من ذكرها، كقولك الحاقة ما هي"[50] "وأصل ما هي: أي شيء هي، على التعظيم لشأنها والتهويل لها"[51]

ومن الأحاديث التي ورد فيها ورد فيها الاستفهام بـ (ما) بمعني التعجب، حديث المغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: مَا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) أَحَدٌ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: "أَيْ بُنَيَّ وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّكَ" قَالَ قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْزِ، قَالَ: "هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ"

فقوله: "وما ينصبك منه" أي ما يتعبك من أمره، قال بن دريد يقال: أنصبه المرض، وغيَّره، ونصبه، والأولى أفصح"[52]. فالنبي (ﷺ) سأله متعجباً، لما رأى كثرة سؤاله عنه، فأجابه: بقوله: إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْزِ، قال: هو أهون على الله من ذلك، قال عياض: "معناه هو أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوب الموقنين"[53].

7/ من: اسم استفهام مبني على السكون، وقد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى، ومنها: التعجب فمن ذلك، قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾ سورة يس [52] فهي هنا جاءت بمعنى الدهشة والتعجب وكقولك: أتدري من هو؟![54] قال سيبويه: "ألا ترى أنك تقول: سبحان الله! من هو؟ وما هو؟ فهذا استفهام فيه معنى التعجب ولو كان خبراً لم يجز ذلك؛ لأنه لا يجوز في الخبر أن تقول: من هو؟ وتسكت"[55] ولم ترد لها في عينة البحث شواهد.

ثالثاً: التعجب بأسلوب القسم:

1/ تاء القسم: وهي من حروف الجر، وتكون متحركة في أوائل الأسماء، ومعناها القسم. ذكر أبو حيان أن قطرباً قال: "التاء لا تدخل إلا في موضع واحد بمعنى التعجب أو القسم فالتعجب: تالله ما أكرم زيداً"[56] ولم ترد في القرآن إلا وهي ملازمة لاسم الله تعالى، وقد علل الرماني ذلك بقوله: "إنها لم تعمل إلا في اسم الله عز وجل؛ لأنها بدل من بدل، وذلك

أن الأصل في باب القسم الباء؛ لأنها من حروف التعدية التي توصل الأفعال إلى الأسماء وتلصقها بها، ثم يبدلون منها الواو؛ لقرب أحدهما من الأخرى في المخرج والمعنى"[57] ومن ذلك ما جاء على لسان إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ سورة يوسف [95] ومعنى ذلك أنهم متعجبون من بقاء أبيهم على حاله، لم يتغير ولم يتبدل، مع طول العهد، وكذلك ما جاء على لسان إخوة يوسف عليه السلام لأخيهم يوسف: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ سورة يوسف [91] ومعناه أنهم متعجبون مما حصل له، من علوّ منزلةٍ، ورفعةٍ، ومكانةٍ، وما جرّت له فعلتُهم من الخير، على غير ما كانوا يتوقعون ويؤملون"[58] وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ سورة الأنبياء [57] وقد وردت التاء مع غير اسم الله عز وجل وذلك قليل[59] وفيها معنى التعجب والتفخيم. جاء في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ سورة الأنبياء [57] "فإن قلت: ما الفرق بين الباء والتاء، قلت إن الباء هي الأصل، والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وإن التاء فيها زيادة معنى، وهو التعجب، كأنه تعجب من تَسَهُّل الكيد على يديه وتأتِّيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره"[60] ولم يرد له شاهد في عينة البحث.

2/ لام القسم: لا تأتي إلا إذا أريد بها التعجب، وهي لا تدخل إلا على لفظ الجلالة (الله) نحو: "لله لا يؤخر الأجل"[61] ولله لتبعثن، ونحو قول الشاعر: [62]

لله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس

"وهي مختصة في الأمور العظام"[63] "وهذه اللام تكون مكسورة دائما"[64] ولم يرد لها في عينة البحث شاهد.

رابعاً: التعجب بأسلوب النداء:

يتعجب بالنداء وذلك بإدخال (لام) جرٍ مفتوحة على المتعجب منه، مسبوقة بحرف النداء (يا) نحو: يا للماء! ويا للهول! ويالك شاعرا! وقد تحذف اللام فيؤتى بألف في آخر

المتعجب منه فيقال: يا عجبا! ولا يستعمل من حروف النداء في التعجب إلا (يا) وحدها؛ لكونها أشهر في النداء، فكانت أولى بأن يتوسع فيها باستعمالها في المنادى والمتعجب منه[65] ولم يرد شاهد للتعجب بأسلوب النداء في عينة البحث.

خامساً: التعجب بأسماء الأفعال:

"يتعجب بأسماء الأفعال؛ لأنها تعطي معنى الخبر، وكل ما هو بمعنى الخبر ففيه معنى التعجب"[66] وليس كل أسماء الأفعال يتعجب منها، ولكن هناك قسم منها فيه معنى التعجب، منها ما يأتي:

1/ شتان: وهو اسم فعل ماض، بمعنى: تباعد، وقيل: بَعُدَ، أو افترق، مع تعجب، ومعناه: ما أشد الافتراق.[67] وليس في عينة البحث شاهد له.

2/ سرعان: هو اسم فعل من سَرُعَ، جاء في الارتشاف: ومن كلامهم: "سرعان ذا إهالة" وسرعان خبر محض، وخبر فيه معنى التعجب ذكر الجوهري: "ولسرعان ما صنعت كذا أي ما أسرع" [68]لم يرد شاهد من أحاديث كتاب الفتن وأشراط الساعة في صحيح مسلم. وليس في عينة البحث شاهد له.

3/ هيهات: وهو اسم فعل ماض لبَعُدَ، وقيل: بمعنى البعد، وقد جاءت في القران الكريم، في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ سورة المؤمنون [36] أي بعد، أو ما أبعده، ومعنى الآية: ما أبعد ما توعدون! وفيه معنى التعجب.[69] وليس في عينة البحث شاهد له.

4/ وي: وهو اسم فعل مضارع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ سورة القصص [82] جاء في الخصائص[70] لابن جني: "أن الخليل وسيبويه ذهبا فيه لأن (وي) مفصولة، وهو اسم سمي به الفعل في الخبر، وهو معنى التعجب، ثم قال مبتدِأً "كأنه لا يفلح الكافرون" وأنشد فيه: [71]

وَيِ كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَه نَشَبٌ يُحْ بَبْ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرْ

وليس له في عينة البحث شاهد.

سادساً: التعجب بالأصوات:

1/ وي لك: "من الأصوات الدالة على أحوال في نفس المتكلم (وي) وهي للتندم، أو التعجب، إذ إن (ويل) عند الفراء أصله (وي)، وأن اللام حرف جر، وكان الأصل: وي لك، أي عجب لك، ثم كثر استعماله معه حتى ركب معه، وصار لام الفعل، وصار ويلك، مثل: قولك، حتى قالوا: ويلاً وويلٌ"[72] وكذلك تقول: ويله رجلاً، تعجباً[73] ومن النحاة من ذهب إلى أن هذه الأداة اسم فعل مضارع بمعنى أعجب [74].

ومن الأحاديث التي ورد فيها التعجب ب(ويلك) حديث فاطمة بنت قيس المشهور بحديث الجساسة[75]، وهو حديث طويل جاء فيه قول النبي (ﷺ): "إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ فَقَالُوا: وَيْلَك، مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الجَسَّاسَةُ. قَالُوا: وَمَا الجَسَّاسةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا القَوْمُ، انْطَلِقُواَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِى الدَّيْر..."

وموضع الشاهد في الحديث قول القوم: (ويلك، ما أنت؟!)، فقد تعجبوا منها، فهي دابة وتتكلم، وهي أهلب –الْهَلْبُ الشَّعَرُ، وَقِيلَ: مَا غَلُظَ مِنَ الشَّعَرِ، وَقِيلَ: مَا كَثُرَ مِنْ شَعَرِ الذَّنَبِ[76]– كثيرة الشعر، فكل شيء فيها يدعو للعجب.

سابعاً: التعجب بالمصادر:

المصادر أسماء منصوبه بفعل مضمر، منها ما جاء فيه معنى التعجب، وهي كما يأتي:

1/ بؤس: حديث أبي سعيد الخدري في عمار: بؤس ابن سمية صيغة (فعل) نداء أو صيغة فعل

2/ بهرا: وهو اسم منصوب بفعل مضمر، وذهب سيبويه إلى أن مجيء مثل هذا الاسم لا يظهر له فعل، فهو على هذا المثال نصب، "كأنك جعلت بهرا بدلاً من بَهَرَكَ اللهُ"[77]. قال أبو حيان: "وجاء بهراً بمعنى عجبا فقيل: لا فعل له، والأفصح أن له فعلاً. حكى ابن الاعرابي في الدعاء على القوم، بهرهم الله، أي: غلبهم، وذهب الفراء، والأخفش، والمبرد، إلى أنه قياس في الدعاء، تقول: ضرباً له، أي: ضربه الله، وقتلاً ونحوه. ومذهب سيبويه أنه لا ينقاس[78] ومما جاء في ذلك قول الشاعر:[79]

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرَاً عَدَدَ النَّجْمِ وَالحَصَى وَالتُّرَابِ

وجاء في أساس البلاغة: "يقولون بهرا له، ما أسخاه"[80]

وليس له شاهد في عينة البحث.

3/ سبحان الله: هذا اللفظ موضوع لتنزيه الله –عز وجل– و(سبحان) علم للتسبيح منصوب بفعل محذوف وجوباً، ثم استعمل في التعجب، وأصل ذلك، بأن يسبح الله تعالى عند رؤية المتعجب منه، ومن صانعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه[81].وفي الحديث: "سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ المُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ"[82] قال ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾ سورة الإسراء [1] "وفي معنى التسبيح قولان: أحدهما: أن العرب تسبح عند الأمر المعجب، فكأن الله عجَّب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة.[83] وكذلك قولنا: سبحان الخالق المبدع، إذا تعجبنا من شيء جميل، وهذا ما نستعمله اليوم في لهجتنا الدارجة كثيراً.[84]

ومن التعجب بصيغة سبحان الله حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا – لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ – لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ..."[85] فلما أنكر الرجل

على عبد الله بن عمرو تحديثه بأن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، تعجب من إنكاره بهذه الصيغة فقال: سبحان الله! لقد هممت ألا أحدثكم بشئ، إنما قلت: إنكم ترون بعد قليل أمراً عظيما، فكان حريق البيت[86]، والأمور العجيبة التي تحدث في آخر الزمان كخروج الدجال، ونزول عيسى، والريح التي تقبض أرواح المؤمنين.

4/ عجبا له: ورد هذا اللفظ بصيغ مختلفة، والمراد منه التعجب، أو لتضمنه معنى التعجب، أو للإخبار بالتعجب، نحو قولنا: عجبت من زيد! واعجبوا لزيد رجلاً، فهو وإن كان فعلا ليس لإنشاء التعجب، كقوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ سورة الرعد [5] وكقول الشاعر[87]:

عَجَباً لِتِلْكَ قَضِيَّةٌ وَإِقَامَتِي فِيْكُم عَلَى تِلْكَ القَضِيَّةِ أَعْجَبُ

وكقول امرئ القيس[88]:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا المُتَحَمِّلِ

ذكر أبو جعفر النحاس أنه يقال: "كيف يجوز أن ينادى العجب، وهو مما لا يجيب ولا يفهم، فالجواب عن هذا: أن العرب إذا أرادت أن تعظم الخبر جعلته نداءً"[89].

قال سيبويه: "إذا قلت: يا عجباً فكأنك قلت: تعال يا عجب، فإن هذا من أيامك وزمانك، فهذا أبلغ من قولك: تعجبت[90]"، فقولك يا عجبا قد علم أنك لا تنادي العجب فالتقدير انتبهوا للعجب[91].

وذهب الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ... ﴾ سورة الرعد [5]، إلى أن تقدير الكلام: إن تعجب يا محمد، فقد عجبت في موضع العجب؛ لأنهم لما اعترفوا بأنه تعالى دبَّر السماوات والأرض... وهو الذي أظهر في العالم أنواع العجائب والغرائب، فمن كانت قدرته وافية بهذه الأشياء العظيمة، كيف لا تكون وافية بإعادة الإنسان بعد موته؛ لإن القادر على الأقوى، فأن يكون قادرا على الأقل الأضعف أولى، فهذا تقدير موضع التعجب"[92]

ومن الشواهد التي ورد التعجب فيها بالمصدر في كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح مسلم حديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: عَبَثَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ، قَالَ: "نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"[93]

ثامناً: التعجب بصيغ أخرى:

هناك صيغ أخرى تفيد معنى التعجب، ولم تدخل ضمن الأساليب المتقدمة، منها ما يأتي:

1/ اللام المجردة من القسم: ذكر ابن هشام أن هذا التعجب يستعمل في النداء، أي: في اللام الداخلة فيه، مثل قولهم: يا للماء! أو يا للعشب! إذا تعجبوا من كثرتها، ومنه قول الشاعر:[94]

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مَغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

فقوله: فيا لك من ليل!، فيه معنى التعجب، كما تقول: يا لك من فارس![95]

وكذلك في قولهم: يا لك رجلا عالماً! وفي غيره، كقولهم: لله أنت! وهذه اللام هي التي يسميها النحويون لام التعجب، قال الزجاجي: "لام التعجب تدل على المتعجب منه، صلة لفعل مقدر قبله، كقولك: لزيد ما أعقله، والتقدير: عجبوا لزيد ما أعقله[96]

وكذلك قيل في اللام الداخلة في قوله تعالى: "لإيلاف قريش..." إنها لام التعجب، قال الفراء في تفسيره لهذه الآية: "ويقال إنه -تبارك وتعالى- عجَّب نبيه -(ﷺ)- فقال: اعجب يا محمد، من نعم الله تبارك وتعالى على قريش، في إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"[97] ووافقه على ذلك كثير من النحاة[98]

2/ لله دره: وهي عباره استعملت في التعجب، نحو قولهم: لله دره فارساً، ولله دره شاعراً، قال أبو بكر بن الأنباري "الأصل في هذه الكلمة عند العرب، أن الرجل إذا كَثُر خيرُه،

وعطاؤه، وإنالته الناس، قيل: لله دره، أي عطاؤه وما يؤخذ منه، فشبهوا عطاءه بدر الناقة أو الشاة، ثم كثُر استعمالهم لهذا، حتى صاروا يقولونه لكل متعجب منه، قال الشاعر:[99]

لِلهِ دَرُّكَ إِنِّي قَدْ رَمَيْتُهُمُ لَوْلَا حُدِدْتُ ولا عذرٌ لِمَحْدُودِ [100]

ومعنى الدر: اللبن.[101] ومعنى الجملة في الأصل: لله لبنه! أي: أن الله سقاه لبنا خاصاً؛ فأصبح فارساً بطلاً أو شاعراً مجيدا، ثم ضُمِّنَ معنى التعجب، فأصبح يستعمل في التعجب. [102]

الخاتمــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين، نبينا محمد (ﷺ)، وبعد فقد توصل هذا البحث إلى الإجابة عن أسئلته، في الدراسة التطبيقية لأسلوب التعجب في كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح الإمام مسلم، وكانت أبرز نتائج الدراسة النتائج التالية:

- ركزت الدراسات التقليدية على أسلوب التعجب القياسي بصيغتيه (ما أفعله! وأفعل به)، وأحكامه المختلفة.
- أظهرت الدراسة أن عينة الدراسة: (أحاديث كتاب الفتن وأشراط الساعة، من صحيح الإمام مسلم) قد خلت من استخدام صيغتي التعجب القياسي.
- لم تُركِّز كتبُ النحو القديمة والحديثة على أسلوب التعجب السماعي، واكتفت بالتنويه عليه بأمثلة قليلة وبسيطة. أو في الدراسات البلاغية.
- أظهرت الدراسة أن أسلوب التعجب المستخدم في أحاديث كتاب الفتن وأشراط الساعة من صحيح الإمام مسلم، هو أسلوب التعجب السماعي.
- إنَّ صيغ التعجب السماعي ليست مذكورة في باب التعجب، بل مبثوثة في أبواب النحو المختلفة، فهي مذكورة في باب التمييز، وأسماء الافعال، وأسماء الأصوات، وغيرها من الأبواب.
- أكثر حروف الاستفهام –بمعنى التعجب– ذكرا في هذه الأحاديث، الهمزة؛ لأنها أم الباب، وتنفرد بأحكام تختص بها دون سائر أدوات الاستفهام.

المصادر والمراجع:

-ابن السراج، محمد بن السري، (1430هـ/2009م) الأصول في النحو، (تح: محمد عثمان)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

-ابن حجر، أبو الفضل، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب)، دار الفكر.

-ابن سيده، علي، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (1421هـ/2000م)، (تح د. عبد الحميد هنداوي) بيروت، دار الكتب العلمية.

-ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (1400هـ/1980م)، (تح: محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة، دار التراث.

-ابن فارس، أحمد، (د. ت)، معجم مقاييس اللغة (تح: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

-ابن كثير، إسماعيل (1419هـ/1998م)، البداية والنهاية، (تح د. عبد الله بن عبد المحسن التركي)» (د.م)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

-ابن مالك، محمد، شرح الكافية الشافية، (ط:1)، (تح: عبد المنعم أحمد هريدي)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.

-ابن هشام الأنصاري، جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، (ط:5)، بيروت، دار الجيل.

-أبو حيان، محمد، (1418هـ/1998م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، (ط:1)، (تح: رجب عثمان محمد)، القاهرة، مكتبة الخانجي.

-البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد وذيوله، (تح: مصطفى عبد القادر عطا)، بيروت، دار الكتب العلمية.

-حاجي خليفة، مصطفى، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (1941م)، بغداد، مكتبة المثنى.

-الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، (تح: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة.

-السيوطي، جلال الدين، (1394هـ/1974م)، الإتقان في علوم القرآن، (تح: محمد أبي الفضل إبراهيم)، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-السيوطي، جلال الدين، (1418هـ/1998م)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (تح: فؤاد علي منصور)، بيروت، دار الكتب العلمية.

-السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، (تح: عبد الحميد هنداوي)، مصر، المكتبة التوفيقية.

-الطيبي، شرف الدين، الكاشف عن حقائق السنن، (1417هـ/1997 م)، (ط:1)، (تح: د. عبد الحميد هنداوي)، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز.

-العيني، بدر الدين، عمده القارئ شرح صحيح البخاري، (1421هـ/2001م)، (ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر)، بيروت، دار الكتب العلمية.

-الفيروز ابادي، محمد، (1301هـ) القاموس المحيط، (ط:3)، المطبعة الأميرية.

-القاري، أبو الحسن، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (1422هـ/2002م)، (ط: 1)، بيروت، دار الفكر.

-القزويني، الخطيب، (1405هـ/1985م)، الإيضاح في علوم البلاغة، (تح: محمد عبد المنعم خفاجي)، ط؛6، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

-اللبدي، محمد، (1405هـ/1985م) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، بيروت، مؤسسة الرسالة.

-النووي (1347هـ/ 1929م)، صحيح مسلم بشرح النووي، (د.ت) ط 1، القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر.

-الوراق، محمد، (1426هـ/2005م)، العلل في النحو، (تح: مازن المبارك)، ط:2, بيروت، دار الفكر العربي المعاصر.

-سيبويه، عمرو، الكتاب، (1408 هـ - 1988 م)، (ط:3)، (تح: عبد السلام محمد هارون)، القاهرة، مكتبة الخانجي.

-مسلم، أبو الحسين، صحيح مسلم، (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

-ابن منظور، محمد، لسان العرب، (د.ت)، بيروت، دار صادر.

الهوامش:

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة عجب.

(2) المصدر السابق، مادة عجب.

(3) ابن عصفور، المقرب، 71/1، وانظر حاشية ابن حمدون على شرح المكودي، 237.

(4) بدر الدين بن مالك، شرح ابن الناظم، 176، وانظر شرح الأشموني 165/4.

(5) صحيح البخاري، باب الطيب للجمعة، 172/2.

(6) ينظر ابن حمدون، حاشية ابن حمدون على شرح المكودي لألفية ابن مالك، 238.

(7) الرضي، شرح الكافية، 307/2.

(8) ينظر ابن السراج، الأصول في النحو، 98/1.

(9) الجوهري، الصحاح.

(10) ابن عصفور، المقرب، 72/1، وينظر ابن مالك، شرح التسهيل، 30/3.

(11) الرضي، شرح الكافية، 228/4.

(12) ينظر ابن مالك، شرح الكافية، 177/2.

(13) انظر ابن يعيش، شرح المفصل 143/7.

(14) ابن هشام، أوضح المسالك،265/2، النجار، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، 83/3

(15) فعل التعجب يكون من (فَعَلَ) قالوا: ما أقعده! ويكون من (فَعِلَ)، نحو: ما أعلمه!، ويكون من (فَعُلَ)، نحو: ما أظرفه!. علي الحكمي، الملخص في ضبط قوانين العربية، ٤٥١.

(16) سليمان العايد، التعجب من فعل المفعول بين المانعين والمجيزين 148/1.

(17) ينظر: سيبويه، الكتاب، 73/1, والمبرد، المقتضب 173/4.

(18) ينظر: الرضي، شرح الرضي، 236-235/4.

(19) ينظر: شرح التسهيل، 36/3.

(20) ينظر المقتصد في شرح الإيضاح 376/1.

(21) ينظر شرح الرضي 35/4.

(22) شرح ابن الناظم، 327.

23) شرح المفصل 147/4.

(24) ينظر معاني النحو، 445/4.

(25) ينظر معاني النحو، 446/4.

(26) ينظر شرح الرضي على الكافية 228/4، ومعاني النحو 651/4.

(27) ارتشاف الضرب 48/3.

(28) شرح ابن الناظم 417/1

(29) أبو حيان الأندلسي ارتشاف الضرب 2211/4.

(30) شرح ابن الناظم 419/1.

(31) ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 70.

(32) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 527.

(33) المسند، رقم 511.

(34) ينظر سيبويه، الكتاب، 99/1.

(35) ينظر السيوطي، همع الهوامع، 69/2.

(36) ابن كثير، تفسير ابن كثير، 45/7.

(37) مسلم، صحيح مسلم، 2242/4.

(38) الأزهر الزناد؛ دروس في البلاغة العربية، ص 115.

(39) معاني النحو 824/4.

(40) مسلم، صحيح مسلم، 4/ 2266.

(41) ينظر ملا القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 3414/8.

(42) الكتاب 233/4.

(43) شرح بن عقيل 65/2

(44) مسلم، صحيح مسلم، 4/ 2223.

(45) الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن، 3824/11.

(46) الآية 28، سورة البقرة، ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، 39/1.

(47) معاني القرآن 1/ 107، وينظر تأويل مشكل القران 478.

(48) ابن حجر، فتح الباري 442/6.

(49) الانفطار 17. ينظر شرح الرضي على الكافية 234، همع الهوامع، 64/5.

(50) معاني القران 180/3

(51) تفسير البيضاوي 423/2.

(52) شرح النووي على مسلم، 74/18.

(53) الطيبي، الكشاف عن حقائق السنن، 3470/11.

(54) ينظر الرضي، شرح الرضي على الكافية، 234/4، والسيوطي، همع الهوامع، 64/5.

(55) سيبويه، الكتاب، 181/2.

(56) أبو حيان، ارتشاف الضرب، 1766/4.

(57) الرماني، معاني الحروف، 15.

(58) الفراء، معاني النحو، 540/4.

(59) ابن هشام، مغني اللبيب،11/1، ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 12/2.

(60) الزمخشري، الكشاف، 576/2.

(61) كتاب اللامات: ص75، وينظر مغني اللبيب 214/1.

(62) البيت منسوب إلى مالك بن خالد الهذلي، ينظر ديوان الهذليين 3/2.

(63) كشف المشكل 585/1.

(64) ينظر الجمل في النحو: ص 72، شرح الراضي، 486 معاني النحو 676/4.

(65) شرح الرضي على الكافية 354/1.

(66) الرضي، شرح الرضي، 90/3.

(67) شرح الرضي، 90/3.

(68) الجوهري، الصحاح، 363/4.

(69) المرجع السابق نفس الصفحة.

(70) ابن جني الخصائص 171/2.

(71) قبله البيت الآتي:

سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ أَن رَأَتَانِي ... قَلَّ مَالٌ قَد جِئْتُمَانِي بِنُكر

وهما من مقطوعة لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي، وقيل: لغيره، والنشب: المال الأصيل من الناطق والصامت. وانظر الخزانة 3/ 95، والكتاب 1/ 290.

(72) الرضي، شرح الرضي، 124/3، وابن هشام، مغني اللبيب، 369/2.

(73) السيوطي، همع الهوامع، 63/5.

(74) ابن هشام، مغني اللبيب، 369/2.

(75) قيل سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن. ينظر تعليق محقق صحيح مسلم محمد فؤاد عبد الباقي عند إيراده الحديث.

(76) القاري، مرقاة المفاتيح، 3472/8.

(77) سيبوه، الكتاب، 312/1.

(78) الارتشاف 206/2-207، وينظر كتاب اللامات ص 132.

(79) البيت لعمر بن أبي ربيعة وهو في ديوانه ص 423.

(80) أساس البلاغة مادة (بهر).

(81) ينظر السيوطي، همع الهوامع، 63/5.

(82) مسند الإمام أحمد، 35/2.

(83) زاد المسير 5/4، وينظر تفسير البيضاوي 687/1.

(84) ينظر معاني النحو 668/4.

(85) مسلم، صحيح مسلم، 4/ 2258.

(86) ينظر السيوطي، الديباج، 259/6.

(87) قائله رؤبة بن العجاج، وينظر سيبويه، الكتاب، 319/1، وابن يعيش، شرح ابن يعيش، 114/1.

(88) ديوانه ص150، وينظر شرح المعلقات العشر، 78.

(89) شرح القصائد التسع 113/1.

(90) سيبويه، الكتاب، 217/2.

(91) شرح القصائد التسع 114/1.

(92) الرازي، التفسير الكبير، 8/19-9.

(93) مسلم، صحيح مسلم، 4/ 2210.

(94) شرح القصائد التسع، 162/1.

(95) المرجع السابق نفس الصفحة .

(96) كتاب اللامات، 72.

(97) معاني القرآن 293/3.

(98) ينظر الزجاج، معاني القرآن، 365/5، وإعراب ثلاثين سورة 210، والعكبري، إملاء ما من به الرحمن 158/2.

(99) البيت للجموح الظفري. وهو في أشعار الهذليين ص 871.

(100) الزاهر 496/1.

(101) الزمخشري، أساس البلاغة: مادة (درر).

(102) معاني النحو 663/4، وينظر مغني اللبيب 215/1، والهمع 63/5.